## الفصل الرابع

# الكلية في خضم الحياة السياسية في الستينيات

oneikandi.com

obeikandl.com

## الفصل الرابع

# الكلية في خضم الحياة السياسية في الستينيات

### إشكالية المنهج![1]:

تزامن إنشاء الكلية مع انقلاب في توجه الدولة الاقتصادي والسياسي، وذلك مع بدء موجة القرارات الاشتراكية بداية بتأميم بنك مصر والبنك الأهلي عام ١٩٦٠، ثم التأميمات الكبرى في يوليو ١٩٦١[2].

وكما أشرنا فى الفصل الأول، اتبعت الكلية عند إنشائها نموذج كلية الاقتصاد في جامعة لندن "LSE" ، وكانت معظم المقررات الدراسية في الاقتصاد وتعتمد على النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية، ولم تختلف تلك المقررات عن أي منهج دراسي لطالب يدرس في الولايات المتحدة أو أوربا الغربية. مع ذلك وبعد أقل من سنة من إنشاء الكلية صدرت القوانين الاشتراكية (يوليه) ثم انفصلت سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة (سبتمبر ١٩٦١)، وكان على النظام الجديد أن يبرر أيديولوجيته؛ فبدأ الحديث عن الاشتراكية العربية، وتم عقد المؤتمر القومي لقوى الشعب العاملة (١٩٦٢).

---

(١) أشار الأستاذ الدكتور **عثمان محمد عثمان**، وزير التنمية الاقتصادية وخريج دفعة ١٩٦٩، إلى أهمية هذا الموضوع فى لقاء مع المؤلف فى ٢١/ ٢/ ٢٠١٠.

(٢) وقد تعددت تفسيرات هذا التحول الكبير في سياسة الدولة فمن ناحية هناك من قال أن الدولة قد تأسست من قيام رجال الأعمال بالجهد المطلوب لتحقيق خطط التنمية. ولم يكن هذا مستغربًا مع موقف الدولة من الرأسمالية وبالذات من الرأسمالية الأجنبية الذي مكنها من الاستيلاء على ملكيات الأجانب وبالذات ملكيات رعايا الدول المحاربة في العدوان الثلاثي. وحسب نظرية أخرى فإن قيادة الثورة قد لاحظت أن هيمنتها السياسية غير ممكنة، دون سيطرتها أيضًا على عوامل الإنتاج ومصادر الثروة.

وتم إضافة مواد تكميلية لمقررات مثل المجتمع العربي، والاشتراكية العربية.. ومع ذلك لم تختلف بقية المقررات التي تدرس للطلبة عن السابق، وكانت المراجع الأساسية هي في أساسها كتب الاقتصاد التي تدرس في الجامعات الأجنبية، بعد أن حول بعضها إلى أسلوب عربي رصين بواسطة الأساتذة الرواد.

ومن المثير للتأمل أنه على الرغم من الدعاية الهائلة التى صاحبت عملية التأميمات والتحول الاشتراكي، استمر فى الكلية تيار واضح ضد الفكر الاشتراكي والنظام الشمولي من قبل بعض الأساتذة، ومنهم الدكتور حامد ربيع، الذي اتصف بشجاعة كبيرة، وأنفق وقتًا كبيرًا في دحض نظرية المادية الجدلية لإنجلز Engels، واتهمه بسرقتها من الفيلسوف هيجل. ومع ذلك اكتفى الكثيرون بالتلميح و تسخيف الدعاية الجديدة نحو فشل النظام الحر وحتمية الحل الاشتراكي.

وبالمقابل كان هناك من وجدوا في النظام الاشتراكي هوًى في أنفسهم ومنهم د. لبيب شقير (الذى يقال إنه قد اتهم بالميول اليسارية قبل الثورة، وكاد ذلك أن يكلفه فرصة فى البعثة الى فرنسا عام ١٩٤٨ لولا تدخل الأديب عباس العقاد، الذى كان يحنو عليه، لدى النقراشي باشا رئيس الوزراء)[١] ، و د. رفعت المحجوب، ود. فتح الله الخطيب وآخرين.

## الفرز السياسي يسمِّم المناخ الجامعي:

وبدأت هذه التحولات المهمة تؤثر في المجتمع الأكاديمي مع تحويل الاتحاد القومي إلى الاتحاد الاشتراكي، وتبني مفاهيم ميثاق العمل الوطني (١٩٦٢)، وإنشاء وحدات قاعدية في الكليات الجامعية، وإنشاء منظمة الشباب الاشتراكي (١٩٦٥). وفيما بعد تم إنشاء النظام الطليعي (السري)[٢].

(١) انظر رجاء النقاش، "عندما قال العقاد: أنا المسئول"، جريدة الاهرام، ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥.

(٢) أخذت الجلالة بعض دراويش الاشتراكية، فكانوا يخاطبون الحضور فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكي فى الكلية عام ١٩٦٥ بلقب "الرفيق" ، تشبهًا بالسوفيت.

وعلى الرغم من أن المجتمع الطلابي لم يتأثر في البداية بشكل مباشر إلا أن عمليات الفرز السياسي دفعت بعض الطلبة إلى مواقع متقدمة في تنظيم الشباب وفي أمانة الاتحاد الاشتراكي[١]. وبالمقابل انزوى الطلاب المنحدرون من عائلات فرضت عليها الحراسة أو العزل السياسي. وامتد هذا العزل السياسي ليصيب بعض الأساتذة الجامعيين. ومن الاستثناءات القليلة نجاح الدكتور بطرس بطرس غالي في رفع العزل السياسي، الذي فرض عليه مع تأكيده للماضي الوطني لأسرته العريقة.

ولا يخفي أثر هذا الاستقطاب السياسي وتصنيف الناس حسب مشاربهم السياسية من تقسيم للمجتمع وإثارة للشكوك والنوازع. وأدى انتشار التجسس على أعضاء هيئة التدريس والطلبة بواسطة زملائهم إلى إشاعة مناخ مسموم داخل الحياة الجامعية في ذلك الوقت[٢]. وهناك قصة مشهورة لتعرض الدكتور رياض الشيخ للمساءلة (أو التحقيق) الحزبي فيما نسبه إليه الطالب "ع. ح." أنه قال في إحدى محاضرات التنمية الاقتصادية عام ١٩٦٣ "إن خمسة من المنظمين الكبار (مثل أحمد عبود باشا) هم أفضل من خطة التنمية". ولقد برأت ساحته من تهمة معاداة الاشتراكية، بعدما بين أنه كان فى لندن قريبًا من فلسفة حزب العمال البريطاني، وأنه اجتهد ليعود الى مصر بعدما انهى الدكتوراه فى وقت قياسي. وساعده فى ورطته تدخل د. رفعت المحجوب (النجم الصاعد في التنظيمات الاشتراكية وأمين عام الحزب فيما بعد) لصالحه[٣]. ومع ذلك التزم الدكتور رياض الشيخ الصمت واعتزل القيام بأي عمل عام يثير الشبهات، أو حسب ما قال فقد "مشي جنب الحيط"، حتى حدوث النكسة عام ١٩٦٧.

---

(١) انظر د. حمادة حسني، **القائمة الكاملة لعناوين التقارير الأمنية التى كتبها أعضاء التنظيم الطليعى للمباحث**، جريدة اليوم السابع، ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨.
http://www.youm٧.com/News.asp?NewsID=٤٠٠٦٠&SecID=١٦٩&IssueID=٠:

(٢) انظر مذكرات د. جلال أمين، **ماذا علمتني الحياة**، دار الشروق، ٢٠٠٨. وأيضًا د. رؤوف عباس، **مشيناها خطًى، سيرة ذاتية**، دار الهلال، ٢٠٠٤.

(٣) مقابلة مع د. رياض الشيخ في ٧/ ٢/ ٢٠١٠.

واستمرت في هذه الفترة حملات اضطهاد الإخوان المسلمين وأصحاب التوجه اليميني بعد عودة الرئيس عبد الناصر من رحلة إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٥. وأدى هذا المناخ الخطر إلى هجرة عدد من أساتذة الكلية وأولهم د. سعيد النجار الذي غادر مصر عام ١٩٦٥ ليلتحق بالأمم المتحدة في جنيف، ولم يعد لمصر بشكل دائم إلا في أوائل الثمانينيات.

كذلك امتنع بعض أعضاء البعثات عن العودة، و سعى آخرون بهدوء إلى الحصول على إعارات في دول الخليج الفتية التي بدأت برنامجها النهضوي في تلك الفترة[1]. مع ذلك سرعان ما انعكس التيار مع زوال مراكز القوى، والسماح بالتعددية السياسية في منتصف السبعينيات، كما هو واضح من الجدول (٨). وكما أشرنا، فإن مناخ الاستقطاب الفكري لم يكن ظاهرًا للعين في الستينيات نتيجة سيطرة الدولة على وسائل الإعلام وإحكام الأمن لقبضته على الحياة الجامعية.

(١) امتدت الرغبة فى الهجرة لأسباب سياسية الى الخريجين من الدفعات الأولى، ومنهم، حسب قائمة أمدنا بها الصديق عادل جاب الله: هاجر الى كندا أحمد علوبه (ق ٦٣)، وسيد شلباية (ح٦٣)؛ والى أستراليا محسن اللبان، وحمدي سليمان (ق ٦٣)، وعادل جاب الله (ح٦٤).



openkandil.com

## جدول (٨)

## قائمة بمعيدي الكلية الذين درسوا فى الخارج و تطورهم المهني (*)

### ١٩٦٣-٢٠١٠

| الاسم | سنة التخرج | قسم | سنة البعثة | الدولة* | آخر وظيفة | دولة القرار ** |
|---|---|---|---|---|---|---|
| سمير رضوان | ١٩٦٣ | ق | ١٩٦٥ | إنجلترا | منظمة العمل الدولية | سويسره |
| نادر الفرجاني | ١٩٦٣ | ح | ١٩٦٥ | أمريكا | خبير إحصائى | مصر |
| عفت موسى | ١٩٦٣ | ح | ١٩٦٦ | أمريكا | أستاذ جامعى | أمريكا |
| على الدين هلال | ١٩٦٤ | س | ١٩٦٧ | كندا | أستاذ جامعى | مصر |
| جودة عبدالخالق | ١٩٦٤ | ق | ١٩٦٨ | كندا | أستاذ جامعى | مصر |
| على عبد العزيز سليمان | ١٩٦٥ | ق | ١٩٦٩ | أمريكا | رئيس هيئة دولية | مصر |
| صلاح الشيخ | ١٩٦٥ | ق | ١٩٦٩ | كندا | أستاذ جامعى | كندا |
| إبراهيم على أحمد | ١٩٦٥ | ح | ١٩٦٧ | أمريكا | أستاذ جامعى | أمريكا |
| عبد الرحمن محمد إبراهيم | ١٩٦٥ | ح | ١٩٦٨ | روسيا | أستاذ جامعى | مصر |
| زينب محمود سليم | ١٩٦٧ | ح | ١٩٧٠ | أمريكا | أستاذ جامعى | مصر |
| فوزية حسين عيسى | ١٩٦٧ | ق | ١٩٧٣ | إنجلترا | أستاذ جامعى | مصر |
| نادية رمسيس فرح | ١٩٦٧ | ق | ١٩٧٣ | أمريكا | أستاذ جامعى | مصر |
| مصطفى كامل السيد | ١٩٦٧ | س | ١٩٦٩ | سويسرا | أستاذ جامعى | مصر |
| ودودة بدران | ١٩٦٧ | س | ١٩٧٤ | كندا | رئيس هيئة دولية | مصر |
| طارق عبد الوهاب عميرة | ١٩٦٧ | ح | ١٩٧٢ | فرنسا | أستاذ جامعى | مصر |
| محمد فتحى صقر | ١٩٦٨ | ق | ١٩٧٢ | إنجلترا | أستاذ جامعى | مصر |
| عادل زاهر | ١٩٦٨ | ح | ١٩٧٥ | أمريكا | أستاذ جامعى | مصر |
| ثناء الجيار | ١٩٦٨ | ح | ١٩٧٤ | فرنسا | أستاذ جامعى | مصر |
| محمد حافظ سليمان | ١٩٦٥ | ح | ١٩٧٤ | فرنسا | أستاذ جامعى | مصر |
| صفوت حافظ زهدي | ١٩٦٩ | ح | ١٩٧٤ | أمريكا | خبير إحصائى | مصر/ أمريكا |
| محمد زكى عزمى | ١٩٧٠ | ح | ١٩٧٤ | أمريكا | أستاذ جامعى | مصر |

- دولة البعثة، هى الدولة التى قضي بها المبعوث أطول فترة فى الدراسات العليا.

(*) **المصدر** : معلومات عامة للكاتب وزملائه في الكلية مع شكر خاص للزميل طارق عميرة.

** دولة القرار، هى الدولة أو الدول التى قضى بها الخريج أطول فترات عمله.

## هجرة العقول:

شهدت فترة بداية الستينيات الميلادية هجرة كبيرة للجاليات الأجنبية من مصر. وبعد بعض الاستقرار الذي تحقق بعد حرب ١٩٥٦ بدأت الجاليات الأجنبية من يونانيين وإيطاليين وغيرهم من جنسيات البحر المتوسط بمغادرة مصر مع زيادة وطأة القرارات الاشتراكية من ناحية، وكذلك بسبب المضايقات المتعمدة من قبل أجهزة الامن التي اقتلعت في النهاية عشرات الآلاف من جاليات طال بقاؤها في مصر حتى أصبحت جزءًا من نسيج المجتمع.

وفي البداية، لم يؤثر هذا النزوح على رغبة المصريين في الهجرة. فالمصري ملتصق بأرضه منذ آلاف السنين. مع ذلك أدت سياسة الفرز السياسي وتسلط مراكز القوى على رزق العباد إلى تغيير في توجهات الطبقات المتعلمة والقادرة على السفر. وفتحت السفارات الأجنبية المستقبلة للمهاجرين أبوابها للمتقدمين. وبدأت الهجرة إلى استراليا وكندا والولايات المتحدة تصبح موضوعًا مطروحًا للنقاش في دوائر المتعلمين.

ويذكر المؤلف أنه في جلسة وداعه قبل السفر للدراسة في الخارج في أواخر ١٩٦٨ كان هناك عشرة أصدقاء سافر منهم للإقامة في الخارج ستة[١].

ويذكر هاني كمال كيف استحالت حياته فى مصر إلى جحيم بسبب ملاحقة جهات الأمن ومضايقتها المستمرة؛ بسبب زواجه من أمريكية شاء حظه أن يقع فى حبها، وغادر مصر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٧[٢].

---

(١) صلاح الشيخ (كندا)، إبراهيم علي أحمد (أمريكا)، عبد الحميد شعراوي (كندا)، محمد الصاوي (أمريكا)، نهى العسقلاني (المكسيك)، وملك الشيشيني (سويسرا).

(٢) كان هاني كمال أكبر من أقرانه فى دفعة (١٩٦٦) حيث تخلى عن دراسة العلوم فى الاتحاد السوفيتي، ضمن أول بعثة من خريجي الثانوية العامة يرسلون لهذا الغرض عام ١٩٦٠، وقرر بدلاً من ذلك دخول كلية الاقتصاد، واضطر إلى أن يعمل أثناء الدراسة؛ لكي ينفق على بيت الزوجية بعد ارتباطه بمن أحب بعد لقائها على مركب العودة من روسيا.

وكما أشرنا، سابقًا، فقد أثر هذا المناخ على المعيدين والمبعوثين الذين أرسلتهم الكلية للخارج. وبالإضافة إلى هؤلاء هناك العشرات من الخريجين الذين طرقوا أبوب الهجرة، أو غادروا مصر لأسباب مختلفة، عائلية واقتصادية. وهناك بعض أمثلة منهم فى الفصل الأخير الخاص بشهادات الخريجين.

obeikandl.com